استقلال دولة فلسطين جاء استجابة لمطالب الشعب الفلسطيني وقياداته، خاصة تلك التي تقود العمل الميداني للانتفاضة الفلسطينية. وقد تبنّت القيادة الفلسطينية هذه الخطة السياسية وبلورتها على النحو الذي قدّمت فيه الى المجلس الوطني الفلسطيني، والى العالم أجمع فيما بعد. وعندما يتحدث اصحاب هذا الرأي، الآن، عن الانجازات السياسية التي تحققها قضية فلسطين على الساحة الدولية، وخاصة على ساحة الرأي العام الغربي عامة، والأوروبي بالذات، فانهم يقدّمون دليلاً على صحة هذه الخطة.

وهناك من الدلائل الأخرى التي يقرّ بها الجميع الآن؛ أولها هو اثر هذه الخطة السياسية في شق التجمع الاسرائيلي وتطوير موقف قوى اسرائيلية كثيرة نحو الاعتراف بالحقوق الفلسطينية وحق الشعب الفلسطيني في اقامة دولته الفلسطينية، بالاضافة الى تطوير مواقف أغلبية دول العالم في هذا الشأن، وتأكيد المواقف العربية الرسمية التي سبق اعلانها والالتزام بها.

في الوقت عينه، يؤكد تحرك الشعب الفلسطيني كله صحة هذه الخطة التي تقدّم هدف الاستقلال الوطني وتجعله المدخل المستقبلي لكل انجاز تاريخي ممكن للشعب الفلسطيني.

ان انتصار الهوية الفلسطينية المستقلة على النحو الذي أبرزته الانتفاضة الفلسطينية، وعبّر عنه اعلان الاستقلال، حقق، بشكل ملموس ومعترف به، اطاراً فلسطينياً وطنياً واسعاً يسلّم الجميع، الآن، بانتماء الشعب الفلسطيني اليه، بغض النظر عن ظروف مجموعاته البشرية وخططها في مواجهة العدو الصهيوني. وأبرز الأمثلة على ذلك هو موقف أبناء الشعب الفلسطيني الذين يعيشون داخل اسرائيل، ويعرفون باسم عرب ١٩٤٨، وهم يعلنون، علناً وصراحة، انتماءهم الى الشعب العربي الفلسطيني وهويته الوطنية، على الرغم من أنهم يختارون خططاً اخرى في المواجهة ضد العدو الصهيوني تختلف عمّا تفعله جماهير الشعب الفلسطيني في بقية الوطن المحتل في ظل الانتفاضة.

كذلك الأمر بالنسبة الى جماهير الشعب الفلسطيني خارج فلسطين المحتلة التي تعلن انتماءها الوطني الفلسطيني، وتمسّكها بمنظمة التحرير الفلسطينية، وترحيبها باعلان دولة فلسطين المستقلة، وتقوم بدورها في مجمل المهام الملقاة على عاتقها في هذه المرحلة، وفي مقدّمها اعلاء كلمة فلسطين، وحشد القوى لمساندتها، وتأكيد التمسك بحق العودة الى الوطن وممارسة حق تقرير المصير على ترابه.

ولا تحتاج جماهير الانتفاضة الى ابراز ما تقوم به، وموقفها السياسي؛ فهي التي قدّمت، منذ البداية، الأسس التي قامت عليها الخطة الفلسطينية السياسية، وهي التي أجرت، عملياً، الاستفتاء الأول على هذه الخطة في قرى ومدن ومخيمات الأراضي المحتلة.

في الاطار الوطني، اذاً، يجتمع كل الشعب الفلسطيني ومؤسساته متكاملاً ومكمّلاً جهود بعضه البعض. ولم يكن من الممكن تحقيق ذلك لولا أنه في حالة هجوم ومراكمة مستمرة في مواجهة العدو المغتصب الذي اضطر الى التراجع أمام الثورة الفلسطينية، والذي يمكن قراءة حركته وواقعه في ربع القرن الأخير من هذا المنظار: منظار التراجع أمام فلسطين، وما يعكسه هذا التراجع على بنيته، وأفكاره، وسياسته.

امّا القول ان هذه الخطوة كانت سابقة على وقتها، اي انها كانت قفزاً الى أمام، فمردود عليه بنفس النتائج العملية التي حققتها الانتفاضة؛ كما أن سرعة التغيرات الجارية في العالم، وفي المنطقة، وفي داخل التجمع الاسرائيلي نفسه، تبين أنها قد جاءت في وقتها المناسب قبل أن تنفتح بوّابات تغيير عديدة يمكن أن تلفت الانظار، أو الاهتمامات، عن القضية الفلسطينية.